Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :10, N :02 – 20 November 2020

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 10، العدد 02 – 20 نوفمبر 2020

الفن والعلم وسيلتان لتجاوز الأزمات عبر الأزمان

Art and science are two means of overcoming crises through time

الباحثة عمران سمية• [1]، د. داود خليفة [2]

جامعة غليزان/الجزائر (somia.omrane@gmail.com)

جامعة الشلف/الجزائر (daoudkhelifa@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2020/05/12 ؛ تاريخ القبول : 2020/09/10 ؛ تاريخ النشر : 2020/11/20

الملخص

يعتبر الفن من أهم الرسائل الإنسانية التي تعبر عن حالة الوعي من خلال تقديمه لمجموعة من الحلول للخروج من الأزمات من أجل إقامة منظومة قيمية وثقافية وحتى إجتماعية وتربوية.فالفن من أبرز القضايا التي تطرقت إليها الفلسفة بالبحث والتحليل وقراءة مراكز الإتصال والإنفصال عن باقي العلوم ومن هنا سنحاول ابراز معالم الإتصال والتوافق بين العلم والفن في بناء إنسان الغد

كلمات مفتاحية: الفن، العلم، الوعي، أزمة، قيمة/ تقنية

Abstract

Art is one of the most important human messages that express the state of awareness by providing a set of solutions to get out of crises in order to establish a value, cultural and even social and educational system. Highlighting the features of communication and compatibility between science and art in building the person of tomorrow

Keywords: art, science, awareness, crisis, value/technology

• **المؤلف المرسل**

1.مقدمة:

يشهد التاريخ أن الفن ليس مجرد ظاهرة جمالية وفقط ، ولكنه أصبح يعبر عن واقعة تاريخية تنشأ في خضم ظروف سياسية وإجتماعية وثقافية.فلقد أصبح الفن يعبر هو الآخر عن ثورة جديدة في الحياة الإنسانية مثلها مثل الثورات العلمية وحتى التقنية لأنه مرتبط وبقوة بالواقع فيثور عليه كي يقوم بتجديده وتصحيح مساره لأنه الوحيد القادر على تعريته من خلال وضعه في قفص الإتهام بعد التقصير الذي قام به.

ومنه فنحن نتساءل :كيف عالج الفلاسفة مشكلة الفن والتقنية في زمن المتغيرات من أجل النهوض بالمجتمعات؟.

ومن هنا سنحاول التطرق إلى ثنائية الفن والعلم من خلال مجموعة من الفلاسفة والفنانين وحتى العلماء ولهذا سنتسآل :هل بإمكان العلم أن يساهم في الإبداع الفني؟.

ومن أبرز الفلاسفة نجد حنة أرندت التي رأت أن الفن من أبرز أطياف المعرفة المعاصرة والأكثر حضورا في المجال العام وأبرز مرايا الثقافة المعاصرة سطوعا ممثلا خصوصا بشقه المرئي والمسموع:السينما والتلفزيون والراديو.

وبما أن ميدان الفن كغيره من الميادين يحظى بتدافع حثيث لولوج أبوابه والوصول إلى النجومية عبره،فإن كل الوسائل تجند لنيل الهدف المنشود –فهي تسعى إلى القول بمفهوم الوصولية فالفن لاينجح بدون علم.

أصبح العمل الفني يتميز عن سائر الآثار الإبداعية الأخرى بأن غايته ليست أن يكون مفيدا لطرف ما، بل أن يدرك دون تمثل غاية ،وذلك مايجعله جميلا،لأن العمل الفن ليس رهينة وظيفة بل هو حر.

وإذا ماتحدثنا عن كل من العلم والفن فسنتحدث أنهما يحدثان بشيء اسمه الصدمة حيث يقول تيودور أدورنو:"...إن الشيء الذي ينجح في هزة نفوس الناس يعد مهما،لكنني لا أقول أبدا :يجب علي الآن ابتداع استفزاز ،فأنا وسيط لشيء ما لا يقع تحت سيطرتي"

ومن جهة أخرى يجب علينا التذكير بأنه على مر التاريخ نجد ثلاث طرق لفهم حقيقة الفن :"... سأقولها بشكل مختصر من العصر الكلاسيكي إلى العصر الحديث كان الفن هو التقنية ، أي الإنتاج بحسب القواعد"ومعنى هذا أن العلم في بداياته كان هو الفن والعكس صحيح.

والشيء المشترك بين الفن والعلم تشاركهما في الخيال والإبداع بإعتبارهما أحد ركائز هذا المجال،فترميم الأثار مثلا أصبح يشترك مع الفن والعلم في إبراز معالم حضارة ما من خلال الوحي الفني والتقنية المتطورة.

وهناك تداخل بين العلم والفن والتقنية منذ فجر الإنسانية ومايؤكد هذا الجداريات المكتشفة في الكهوف التي تعود إلى أكثر من 30ألف سنة،فالفن والعلم وجهان لعملة واحدة فهما يمثلان علاقة الروح بالجسد ففي بدايات علاقتهما كانت تعبر عن مفهوم البقاء والإستمرارية .

وإذا ماتطرقنا إلى الهندسة بمفهومها العلمي والتي هي عبارة عن رسومات إلا أنها تجمع بين الإبداع الفني كخاصية إنسانية وإقامة التقنية كجانب عملي.

فالفن وسيلة تفيد في تحسين العالم والإرتقاء به أخلاقيا بوجه عام،أي أنه ليس غاية ذاته،وإنما غايتهموجودة خارجه.

ويرى لامونيه"1782–1854"أن من الشروط المادية للفن هو توافقه مع العلم، وأعطى مثاله على فن العمارة بمثابة الفن الأول،وفن النحت كتطور مباشر للعمارة والتصويرر متمم له.

ويرى تولستوي (1868–1919) في كتابه الفن أن العلم والفن يشتركان في نفس عملية الوعي بإعتبارهما إحدى وسائل الإتصال التطوري من خلال عملية المخيلة والإبداع.

وإذا ماتحدثنا عن الإستيطيقا التجريبية والتي أصبحت ترى بأن الطرق التجريبية لا تطبق على أحكام الشعور الجمالي فحسب بل وعلى الفنون ذاتها ،وبدأ تطبيق الطرق العلمية في مجالات علم الجمال بدراسة شروط السرور الجمالي أبرزهم:

أ–تين (1828–1898) من خلال تعيينه للخصائص الموضوعية لفلسفة الفن، فلقد اعتمد هذا الأخير على الملاحظة والتفسير ويقوم بتطبيقاته على الأعمال الفنية،ويرى أن للروائع الفنية خصائص موضوعية

أما فلسفة الفن العلمية عند جوستاف تيودور فخنر(1807–1887)وهو مبدع فلسفة الفن العلمية وإن لم يكن مبدعها فهو من صاغها،فقد درس المؤثرات الحسية التي تثير النفس الشعور الوجداني السار أو غير السار ثم برهن على صحة المنهج التجريبي في الفن ،وقد قسم طرق المنهج إلى ثلاث:

1–طريقة الإختيار

2–طريقة الإنتاج والإبداع

3–طريقة التطبيق

ومنه يقول :"...وهكذا ظهرت فنون جديدة بتقنية جديدة أضافت وولدت أشكالا فنية جديدة وبالتالي أفكار جمالية تولدت عنها مكونة نظريات علمية جديدة.

أما الفن عند آلان هو إبراز لدور المادة في النشاط الفني في قوله:"الفن عمل وصناعة"،أما عند مارلو فهو أداة تغيير وليس مجرد تعبيير في قوله :"الفن حرية وإبداع"وقد عنى ميرلوبونتي بعنصر الإحالة المتبادلة بين الفنان والعالم،وعني بأهمية الأسلوب فيقول:"الفن لغة وأسلوب".

ولقد رصد بنيامين تطور عملية نسخ الأعمال الفنية بدءا من عملية الصب والطبع لدى الإغريق حيث كانت الأعمال الفنية المصنوعة من البرونز والفخار يمكن تصنيعها بكميات ضخمة،فيما عدا العمل الفني الذي كان فريدا،لايمكن أن يستنسخ آليا إلى عملية الطبع على الحجر باستخذام الأيدي إلى التصوير الفوتوغرافي،الذي أدى إلى تغيير أساليب إنتاج الأعمال الفنية تغييرا جذريا وأدت تطورات الإستنساخ مع حلول القرن العشرين إلى ظهور أشكال فنية تفرض نفسها بوصفها أشكالا فنية أصيلة مثل:فن صناعة الفيلم(السينما)التي ارتبط ظهورها بتصور تقنيات الإستنساخ الآلي ، فمثلا:"يستطيع الإستنساخ أن يبرز جوانب في العمل قد تغفلها العين المجردة ، ويمكن عن طريق التكبير والحركة البطيئة للكاميرا أن تتوصل إلى حقائق تجهلها الرؤية الطبيعية".

ويمكن ملاحظة أن تحليل ميشال فوكو لي لوحة الوصيفات لفلاسكويز ،مرتبط بهذه الإمكانيات التي تقدمها التقنية،وعن طريق هذه التقنية أمكن اقتراب العمل الفني من المتلقي، فأصبح عن طريق الأسطوانة نستطيع الإستماع إلى موسيقى تم تسجيله في مدينة تبعد عنا آلاف الأميال، ورؤية

المتلقي لكاتدرائيات ضخمة من خلال فيلم سينمائي–بالرغم من الإيجابيات لعلاقة علم الإستنساخ بالعمل الفني إلا أن الفن يفقد أصالته–

ومثال آخر:أصبحت السينما تعبر عن عن إمتزاج العلم بالفن على عكس اللوحات الفنية والمسرح، مما يتطلب درجة عميقة من المعرفة العلمية "التطابق بين الفني والعلمي"ويمكن أن تكون أداة للتحرر إذا ارتبطت بمشروع ثقافي إيجابي.

فعند التعرض لأي موضوع عن الموضوعات،فحين تركز الكاميرا على مشهد ما فإنه يصعب القول أيهما أكثر إبهارا،القيمة الفنية في التصوير ،أم القيمة العملية وهذا من القيم الإيجابية للسينما فكرة التصوير ومثالنا عنه البناء المعماري.

ولقد أسهمت التكنولوجيا في التمهيد من أجل ظهور شكل فني معين ،فقبل أن تظهر السينما نجد المحاولات الأولى لفن التصوير المتتابع.

وموقف أدورنو من التكنولوجيا هو موقف متعدد الأبعاد، فهو يقبل التكنولوجيا التي تكون أداة في السيطرة على العالم ،ويرفض أن تكون أداة سيطرة على الإنسان،ومنه يقول:"فالفن عن طريق خلقه لعالم وهمي ، يمكن أن يعدنا بالتحرر من وهم الواقع"ومعنى هذا أن الفن يستطيع استشراف عالم الحلم من فعل التخيل الذي يساعد على بناء المدينة المعاصرة.

فالفن ليس طريقا ثانويا في الحصول على المعرفة بل هو جزء من حياة مكتملة معرفيا، فهو لايكون جديرا بالإهتمام إذا انفصل عن العلم أو عن الفلسفة إذ يفقد مبرر ومسوغ وجوده، فالفنان الذي لايؤمن بتكامل الفن مع ألوان المعرفة الأخرى عبر عنه تنيسون بأنه"بقعة من الركود الرتيب بلا ضوء أو قدرة على الحركة،بركة ساكنة من الملح تحيطها الرمال متروكة على الشاطيء".

ويمثل هربرت ريد في كتابه "التربية عن طريق الفن"قائلا:"فأنا في النهاية لا أميز بين العلم والفن إلا باعتبارهما مناهج"حيث يقول :"الفن هو وسيلة تمثيل إحدى الحقائق،وأن العلم هو وسيلة تفسير الحقيقة نفسها"ويقول أيضا:"ليس العلم مجرد معلومات آلية لا شخصية، بل إن للعلم إلى جانب القيم التي ينفرد بها كالنزاهة والموضوعية وحب الحق،قيما أخرى يقترب بها من المجال الشخصي الذي يختص به الفن كالإحترام والتسامح".

كما أن الفن من جانبه ليس مجرد ممارسة ذاتية خلاقة تنبعث من الفنان وحده ،ولا تؤثر إلا فيه،وإنما يقدم إلينا معرفة من نوع خاص هي معرفة الذات .والمقصود بمعرفة الذات هو أن يعرف الإنسان نفسه من خلال مايعرضه العمل الفني أو الأدبي من نماذج ،ويتوحد مع المعنى أو المشاعر التي يضمنها العمل،لكي يفهم نفسه ويفهم الإنسانية كلها،على نحو أفضل وهكذا يتخطى الفن حاجز الفردية لكي يقيم جسورا بيننا وبين الذوات الأخرى شأنه في ذلك شأن العلم.

للفن والعلم مكان متميزة في العمل المعرفي الكلي فإذا كان الفن "الشعر خاصة"كما يرى الشاعر الإنجليزي لويس أنه يعمق رؤيتنا بإزاء الجانب الكيفي للشعور والقيمة،فإن العلم يكشف لنا عن الجانب الكمي للقياس و الإطراد.

ويرى ارنست كاسيرر في كتابه"مقال في الإنسان"أن الفنكسائر الأشكال الرمزية ليس نسخا حرفيا لحقيقة جاهزة معطاة وإنما هو إحدى الطرق المؤدية إلى نظرة موضوعية للأشياء والحياة الإنسانية، فحقا إننا لا نكتشف الطبيعة من خلال الفن بنفس المعنى الذي يعنيه رجل الطبيعة حين يستعمل كلمة "طبيعة"فالعلم اختزال للواقع والفن تكثيف للواقع ،فالعلم يقوم بذلك عن طريق التجريد،أما الفن فيقوم بعملية التجسيد، إلا أنهما يصلان إلى غاية واحدة هي أن الفن يستكشف صور الطبيعة مثلما أن العالم يستكشف حقائق القوانين الطبيعية.

والواقع أننا لا نستغني عن الحياة في دنيا الصور كما لا نستغني عن معرفة العالم من خلال قوانينه ومعادلاته،أما من خلال الفن فإنه يثري إدراكنا ويتنوع عما هو عليه في الإدراك العادي أو العلمي،وهكذا فالعلم والفن كما يقول ستيفن بيبر في كتابه "المفهوم والقيمة"كلاهما جزء من المؤسسة الثقافية، وكل منهما يمتلك قيما ثقافية مهمة،فالقيم بالنسبة للفن هي أساسا قيم تحقيقية،وبالنسبة للعلم هي قيمة أداتية وكلاهما يسهم في المعرفة الإنسانية على نحو كبير.فالفن يختص بالخبرة الحية ، والعلم يهتم بالتحكم التصوري للبيئة الإنسانية،والحكمة الإنسانية تتطلب ألا نفصل بينهما بحدة فكل منهما يحتاج للآخر من أجل نظرة متوازنة عن العالم ،فرجل العلم يحتاج للشعور الجمالي من حيث أنه نوع من المصفاة التي لا تسمح بالمرور إلا لتلك الأشياء التي تبدو بحكم اتساقها صادقة،حقيقية ومن لايتمتع بهذه الصفات لن يصبح أبدا مخترعا حقيقيا.

إن العالم الذي يمارس فيه كل من العلم والفن نشاطه عالم واحد ، وهذا يؤدي إلى إلتقائهما في نقاط كثيرة.فالخبرة الجمالية جزء من العالم والواقعي الذي يشكل كل أنواع الخبرات الأخرى،ومنها الخبرة العلمية أساسا ،والفن يوظف الحقائق التي توصل إليها العلم ويعيد تفسيرها على نحو قيمي.

هكذا يطبع العلم عقول الفنانين بأفكاره ويصبغ رؤاهم،حيث يقدم لهم المادة الخامة التي ينسجون بها فنهم،فالتقرير العلمي جزء من خبرة الفنان.

ومن بين الفنانين الذين جمعوا بين العلم والفن نجد كولدرج الذي كان يستمع إلى محاضرات همفري دافي في العلم حتى يزيد من مخزونه المجازي.

ومنه سنورد بعض النماذج لبعض الفنون التي أبدعت في عصر العلم والتكنولوجيا فهذا هنري مور يرى أن إهتمام الفنان بالأشكال الطبيعية إنما يشمل تلك الأشكال التي يكشفها له الميكرسكوب والتليسكوب،حيث يقول:"إن الشكل الإنساني هو مايهمني بصفة خاصة،لكنني وجدت مباديء الشكل والتناغم من دراسة الموضوعات الطبيعية مثل البلورات،والصخور والعظام والأشجار والنباتات،.....إلخ،ففي الطبيعة تنوع لا حدود له، والتليسكوب والميكروسكوب يوسعان هذا المجال وبهما تتسع خبرة النحات المعرفية بالشكل.

وفي القرن العشرين نجد الفن تركيبة متفجرة ،وعلى الرغم من غموض طبيعته على المتلقي، فهو رد فعل مباشر لعصر الذرة،فلقد اختلفت الرؤية عن الإدراك العادي إلى الإدراك الكلي،ذلك الإدراك الذي يعتمد على ذاتية الفنان وإعتبارها أساسا في التعبير والإبداع الفني، بالإضافة إلى مايمتلكه من تقنيات حفزت خياله لسبر أغوار لاوعيه، وأعطته القدرة على الغوص في أعماق ماتم كشفه بالعلم،وهذا مامهد إلى الرمزية التي تتجه إلى ناحية العلم أساسا،ومن هؤلاء الفنانين بول كلى، وجوان ميرو ومارك شيجال وهنري مور وماكس ارنست وعبد الهادي الجزار وحامد ندا.

كما أثرت الفيزياء النسبية عند أينشتاين على التكعبيين عندما تخلو عن تراث النظرة المفردة وارتبطو بتزامن المنظورات المختلفة،كذلك تأثير البعد السيكولوجي وخاصة عند فرويد على السرياليين في

رسوماتهم وعلى الأدباء في استخدامهم تكنيك تيار الوعي كما عند فرجينا وولف وجيمس جويس وأوجين أونيل.

1. ولقد اهتم الفن بموضوعات العلم وحقائقه،فإن مادة الفن هي أيضا مادة متميزة للبحث العلمي ولما كنا نفهم العلم بمعناه الواسع أي باستعابه للعلوم الإجتماعية والفلسفية ،مثل:اكتشافات بوانكاريه في الرياضة تشبه تفسيرات موتزارت لإبداعاته الموسيقية،وكذلك التشابه بين قصة كيكيولا لكيفية اكتشافه دورة البنزين التي أحدثت ثورة في الكيمياء العضوية.

وهذا مايؤكده رأي روسمند هاردنج في أن كل المبدعين سواء أكانوا فنانين أو علماء متشابهون في أنهم واهمون، فالخيال يعمل على توسيع نطاق اللغة العلمية على الدوام وإضافة معان جديدة إلى مفهوماتها المتداولة.

2-الخاتمة

وفي الأخير نستنتج بأن الفن والعلم هما عمليتان يختص بهما الإنسان من أجل تجاوز أزمات الواقع من خلال عملية الخيال والإختراع وهذا مانجده عبر العصور ،ومنه فنحن نقول :"إن الفن رسالة إنسانية ووسيلة بشرية بارعة للإفصاح عن حالة الوعي الإنساني بتقديم الحل الرائع من خلال التوافق الروحي(الفن) والمادي(العلم) لتحقيق واقع أجمل"

3-قائمة المصادر و المراجع:

1-بسطاويسي رمضان محمد،علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت"أدورنو نموذجا"،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

2-هيجل،المدخل إلى علم الجمال"فكرة الجمال"،تر:جورج طرابيشي،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت،ط3،1988

3–عبده مصطفى،المدخل إلى فلسفة الجمال"محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية"،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط2،1999

4–محمد وفاء ابراهيم،علم الجمال"قضايا تاريخية ومعاصرة"،دار غريب للطباعة،القاهرة

5–أبو بكر العيادي،هل الجمال شرط أساسي في الفن ؟،مجلة العرب،الأحد يونيو2020